

سورة القارعة مكية

وآياتها إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ
الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : « الْقَارِعَةُ » : السَّاعَةُ التي يَقْرَعُ قلوبَ النَّاسِ هَوْلُهَا ، وَعَظِيمُ ما يَنْزِلُ بِهِم مِنَ البلاءِ عِنْدَهَا ،
وذلك صَبِيحَةٌ لا ليلَ بَعْدَهَا .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : « الْقَارِعَةُ » من
أسماء يوم القيامة ، عَظَمَهُ اللهُ وَحَدَّرَهُ عِبَادَهُ .

وقوله : « مَا الْقَارِعَةُ » يقول تعالى ذِكْرُهُ مُعْظَمًا شَأْنَ القِيَامَةِ والسَّاعَةِ التي يَقْرَعُ العبادَ هَوْلُهَا : أيُّ شيءِ
القارعة ؟ يعني بذلك : أيُّ شيءِ السَّاعَةُ التي يَقْرَعُ الخلقَ هَوْلُهَا : أيُّ ما أعظمها وأفظعها وأهولها .

وقوله : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ » يقول تعالى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وما أشعرك يا محمد
أيُّ شيءِ القارعة .

وقوله : « يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ » يقول تعالى ذِكْرُهُ : القارعة يوم يكون الناس كالفراسخ ،
وهو الذي يتساقط في النار والسراج ، ليس ببعوض ولا ذباب ، ويعني بالمبثوث : المَفْرَقُ .

وكالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة « يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْتُوثِ » هذا الفراش الذي رأيتم يتهافت في النار .

وكان بعض أهل العربية يقول : معنى ذلك : كغوغاء الجراد ، يركب بعضه بعضاً ، كذلك الناس يومئذ ، يجول بعضهم في بعض .

وقوله : « وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ » يقول تعالى ذِكْرُهُ : وَيَوْمَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالصُّوفِ الْمُنْفُوشِ ؛ والعهن : هو الألوان من الصوف .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هو الصوف . وذكّر أنّ الجبال تسير على الأرض وهي في صورة الجبال كالهباء .^١

وقوله : « فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ » يقول : فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ ، يعني بالموازين : الوزن ، والعرب تقول : لك عندي درهم بميزان درهمك ، ووزن درهمك ، ويقولون : داري بميزان دارك ووزن دارك ، يُرادُ : حذاء دارك . قال الشاعر :

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذَا مِرَّةٍ * عِنْدِي لِكُلِّ مُحَاصِمٍ مِيزَانُهُ

يعني بقوله : ' لِكُلِّ مُحَاصِمٍ مِيزَانُهُ ' كلامه ، وما يُنْقَضُ عَلَيْهِ حُجَّتَهُ . وكان مجاهد يقول : ليس ميزان ، إنما هو مثل ضرب .

حدثنا بذلك أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ » يقول : في عيشة قد رَضِيَهَا فِي الْجَنَّةِ .

وقوله : « وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ » يقول : وَأَمَّا مَنْ خَفَّ وَزْنُ حَسَنَاتِهِ ، فَمَاوَاهُ وَمَسْكَنُهُ الْهَآوِيَةُ ، التي يَهْوِي فِيهَا عَلَى رَأْسِهِ فِي جَهَنَّمَ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

^١ لعله يشير هنا إلى قوله تعالى : « وَيَوْمَ نُسِيْرُ الْجِبَالَ وَتَرَى بَارِزَةً وَحَشْرْنَآهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا » (سورة الكهف ، آية : ٤٧) .

حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » قَالَ: مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ، هِيَ الْهَآوِيَةُ. قَالَ قَتَادَةُ: هِيَ كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ، كَانَ الرَّجُلُ إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ، قَالَ: هَوَتْ أُمُّهُ.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى، قال: إذا مات المؤمنُ ذُهِبَ بِرُوحِهِ إِلَى أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، فيقولون: رَوْحُوا أَخَاكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا؛ قَالَ: وَيَسْأَلُونَهُ مَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ فيقول: مات، أَوْ مَا جَاءَكُمْ؟ فيقولون: ذَهَبُوا بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ^٢.

حدثنا ابن سيف، قال: ثنا محمد بن سوار، عن سعيد، عن قتادة « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » قَالَ: يَهْوِي فِي النَّارِ عَلَى رَأْسِهِ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » وَهُوَ مِثْلُهَا، وَإِنَّمَا جَعَلَ النَّارَ أُمَّهُ، لِأَنَّهَا صَارَتْ مَأْوَاهُ، كَمَا تُؤْوِي الْمَرْأَةُ ابْنَهَا، فَجَعَلَهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَأْوَى غَيْرَهَا، بِمَنْزِلَةِ أُمِّ لَه.

قوله: « وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَ » يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْهَآوِيَةُ؟ ثُمَّ بَيَّنَّ مَا هِيَ، فَقَالَ: « نَارٌ حَامِيَةٌ » يَعْنِي بِالْحَامِيَةِ: الَّتِي قَدِ حَمَيْتْ مِنَ الْوَقُودِ عَلَيْهَا.

آخر تفسير سورة الفارعة

^٢ ورد في ذلك حديث صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « إذا حضر المؤمنُ أُنْتَهَ ملائكةُ الرحمة بحريّةٍ بيضاء، فيقولون: اخرجي راضيةً مرضياً عنك، إلى رُوحِ الله وريحانٍ، و ربُّ غيرِ غضبانٍ، فتخرجُ كأطيبِ ريحِ المسك، حتى إنه ليناوُلُهُ بعضُهم بعضاً، حتى يأتونَ به بابَ السَّاءِ، فيقولون: ما أطيبَ هذه الرِّيحُ التي جاءتكم من الأرضِ! فيأتونَ به أرواحُ المؤمنينَ، فلهم أشدُّ فرحاً به من أحدكم بغايته يقدمُ عليه، فيسألونه: ماذا فعلَ فلانٌ؟ ماذا فعلَ فلانٌ؟ فيقولون: دعوه فإنه كانَ في غَمِّ الدُّنْيَا، فإذا قالَ: أمّا أناكم؟ قالوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتَضَرَ أُنْتَهَ ملائكةُ العذابِ بمسحٍ، فيقولون: اخرجي ساخطةً مسخوطاً عليك إلى عذابِ الله عزَّ وجلَّ، فتخرجُ كأنّني رِيحٌ جيفةٌ حتى يأتونَ به بابَ الأرضِ، فيقولون: ما أنتنَ هذه الرِّيحُ! حتى يأتونَ به أرواحُ الكفارِ ». انظر تخريجه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٠٩)، وصحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٩)، وصحيح الجامع (٤٩٠)، وصحيح سنن النسائي (١٨٣٢).